سلسلة الأبحاث المحكمة (١٢)

إصداراتنا الرقمية (١٢)

أثر الصلاة

على الحياة

للأستاذ الدكتور

صلاح محمد أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي
في جامعة العلوم الإسلامية
العالمية



مركز أنوار العلماء للدراسات

أثر الصلاة........
.......على الحياة



الطبعة الرقمية الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

إصدار

مركز أنوار العلماء للدراسات

التابع

لرابطة علماء الحنفية العالمية

World League of Hanafi Scholars

جوال: 00962781408764

البريد الإلكتروني: anwar_center1995@yahoo.com

أثر الصلاة

على الحياة

للأستاذ الدكتور صلاح محمد أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي

بجامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان، الأردن

مركز أنوار العلماء للدراسات


بسم الله الرحمن الرحيم

*** نشر في مجلة المدونة التابعة لمجمع الفقه الإسلامي في الهند.**

ملخص البحث:

ركزت في بحثي في أثر الصّلاة على سلوكِ المسلم، باعتبار أنَّ الصلاةَ معيارٌ لقياس مقدار النَّجاح في الحياة، فبدأت بتعريف الخشوع لغةً واصطلاحاً، ثُمَّ اهتممتُ بعرض قواعد كليّة حياتية وكونيّة وشرعيّة في النَّظر للدنيا والإنسان؛ لمعرفة مدى حاجتنا للعبادات عامّة، وللصلاة خاصة، وبيان حكمة الله تعالى في شرعها وفرضها علينا، فالإنسان خلق في عناء وابتلاء ولم يخلق للرَّاحة والدّعة، وهو بطبعه ضعيفٌ عاجزٌ عن مخالفة هواه، ويحتاج أن يلجأ إلى قويٍّ يعينه، وسعادتُه في هذه الدُّنيا تكون بالرضا والقناعة التي تتحصَّل بمعرفة الله تعالى، وهذه المعرفة لها أسبابٌ عديدةٌ من صلاةٍ وذكرٍ لله تعالى وتربيةٍ للنفس وثقةٍ بالله ويقينٍ، ثُمَّ بيَّنت مقدار أثر الصَّلاة على صاحبها بتقرير تلك القواعد بما يجعله أكثر نجاحاً في الحياة كلَّما وعى درس الصَّلاة، وقام بمقتضياتها من الاستعدادِ، فمقاصد الصَّلاة عظيمةٌ كثيرة.

* * *

Research Summary

My research has focused on the effect of prayer on the Muslim behavior, considering that prayer standard for measuring the amount of success in life. First, I defined reverence in prayer in language and idiomatically. Then I was interested to view general rules of life and the cosmic and the legitimacy to consider the life and human; to know how much we need for general worship, and prayer in particular, the statement of wisdom God in legislated and imposed on us, man was created in trouble and a test not created for comfort and convenience. Man is also inherently weak and unable to breach desires, and he needs to resort to strong designee. His happiness in this world is to be complacent and conviction is obtained knowledge of God. This knowledge has many causes of prayer and Altheker of Allah and

to the educational psychology and trust in God and believe. Then I showed how much the impact of prayer on human, including those rules that make him more successful in life, the more he studied the awareness of prayer, and the willingness of its provisions, prayer has many great purposes.

Namazın Hayata Etkisi

Özet

Bu araştırmamızda, hayatta başarılı olabilme derecesinin ölçütü olması bakımındannamazın müslüman ferdin hâl ve gidişatı üzerindeki etkisini inceledik. Evvela huşû’ kavramının lügavi ve ıstılahî tarifiyle başladık. Sonra, genel mânâda ibadete özel mânâda namaza olan ihtiyacımızın ne boyutta olduğunu bilmek, Allah’ın onu bize farz kılmasındaki hikmeti açıklamak adına, dünya ve insanı göz önünde bulundurarak, hayata doğaya ve dine dair bazı küllî kaideler ortaya koymaya

çalıştık. Şöyle ki, insan sınanmak ve çabalamak için yaratılmış, bu dünyada keyif ve sukünet sürmek için yaratılmamıştır. Hevasına karşı koymakta zayıf ve acizdir ki; bu yüzden kendisine yardım edecek bir güce sığınmaya muhtaçtır. Bu dünyadaki mutluluğu ise Allah Teala'yı tanımaklaelde edeceği kanaatte ve O'ndan razı olmaktadır. Allah'ı tanımanın da namaz kılmak, O'nu anmak, nefsi terbiye etmek, O'na güvenmek ve yakîn üzere olmak gibi birçok vasıtası vardır. Sonra, bu genel kaideler çerçevesinde,kişinin namaz dersini kavradığı ve ona dair gerekli hazırlıkları yerine getirdiği ölçüde onu hayatta daha başarılı kılması bakımından, namazın sahibi üzerindeki etkisini beyan ettik. Buna göre namazın birçok büyük maksadı bulunmaktatır.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، ومَن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ التشريع الإسلامي له جانبان: تنظيمي وتربوي.

أما التنظيمي فيتعلّق بالمعاملات والمناكحات والقضاء وغيرها، وأما التربوي فيتجسد بصورةٍ واضحةٍ في العبادات التي تسعى سعياً حثيثاً إلى الارتقاءِ بإنسانيةِ الإنسانِ إلى أَعلى مراتبها، وتخليصِهِ من الصفاتِ الحيوانيةِ الذميمة، فعلى قدر التزام المسلم بدينه يرتقي سلوكه وأخلاقه وتصرفاته إلى أعلى مستويات البشرية، ويؤكد ذلك قوله ﷺ:

«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١]، والعبادات هي المحقِّقةُ لأفضل المكارم الخلقيةِ بالتخلصِ من الصفاتِ الذميمةِ والإخلاصِ لله تعالى.

ورأسُ العبادات الصَّلاة، وهي عمادُ الدِّين وأساسُه القويم، ومن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين، ففي هذا البحث أعرض شذرات متعلِّقة بمقاصد تشريع الصلاة، والكلام فيما يتعلَّق بأسرار التَّشريع وفوائده لا نهاية له، وكثر التَّأليف فيها بما لا يُعدُّ ولا يحصى.

ومبنى مقاصد الشرع أنَّ الله غنيٌّ عن عباده، وكلُّ ما يشرع لنا من الأحكام يكون لتحقيق المصلحة لنا ودفع المفسدة عنا لا غير، فلو عايش هذه الحقيقة ـ المعلومة لكلِّ منا ـ في حياته، سيجد من الحكم والفوائد لهذا التشريع بما لا ينتهي، وَلَسعى بجدّ إلى التزام أحكامه؛ لأنَّها شُرِعَت لمصحلته الدُّنيويّة والأُخروية معاً.

ومشكلةُ البحث وأهميته تظهر في الإجابة عن سؤال مهم: هل يُمكن قياسُ نجاح حياة المسلم في حياته من خلال خشوعه في صلاته؟

حيث يسعى البحث إلى إثبات أنَّ نجاح المسلم في حياته الدنيوية

---

(١) في سنن البيهقي الكبير ٨: ٤، وسنن الدارقطني ٣: ٣٠٤، وسنن أبي داود ٢: ٢٨٣، ومسند أحمد ٢: ١٨٢، ومكارم الأخلاق ص٧٨، قال الحاكم: صحيح الإسناد. ينظر: خلاصة البدر المنير ٢: ٢٥٧.

والأخروية هو بمقدار نجاحه في أداء صلاته، فصلاتُه هي مرآته في قياس هذا النجاح، حتى قيل: بقدر ما تنعدل صلاتك تنعدل حياتك، فيصحُّ القول بأنَّ صلاتَك حياتُك.

وذلك من فضل الله تعالى علينا أن أهدانا هذه الصلاة لتقويم سلوكنا، فهي دوراتٌ قصيرةٌ على مدارِ السَّاعة بحيث تؤدّى في أقلّ تقدير لها خمس مرّات في اليوم، يكون فيها مناجاةٌ للعبد مع ربِّه، والمخلوقِ مع الخالق، حتى يأخذ غذاء روحه للسَّاعات القادمة، ويتذكّر الإرشادات المناسبة للنَّجاح، ويتدبّر في البصائر المناسبة للفلاح.

فعلي المسلم في أدائها أن يستوعبَ درسَها، ويحضرَه جيداً بتركيز وتفريغ للقلب كاملاً؛ لينال الفائدة المرجوة من الدَّورة الرَّبانيّة.

ولا يقدر أن يصل إلى كاملِ الفائدةِ من الدُّورةِ إلا بمراعاة أسباب داخل الصلاة وخارجها، وهذا ما خصصته ببحث آخر عن أسباب الخشوع، وما يهمنا منه هنا هو أنَّ استقامتَه خارج الصَّلاة وحرصَه الكبير ومجاهدته العظيمة في داخل الصلاة موصلةٌ إلى الخشوع المطلوب الذي هو المرآةُ لقياس نجاح الإنسانِ في دنياه وأُخراه، ولا يقدر أن يصل إليه إلا بالاجتهاد في الصَّلاة وخارجها، وبقدر اجتهاده فيهما يتحقَّقُ الخشوع، فيعرف القدر الذي وصل فيه من النَّجاح.

ووعينا لهذا يخرجنا من مشكلةِ الصَّلاة عند «كثير منا التي ليس لها

من اسمها نصيب، بل هي كيس هواجيس، فارغ من أي ذكر لله تعالى، حركات وقراءات فرغت من معانيها، قراءة بغير قلب...، صارت الصلاة عند كثير من المصلين عادة لا فقه لمعانيها»[1].

والدِّراساتُ السّابقةُ: في موضوع الخشوع كثيرةٌ جداً، وقد أَفدت منها، ولكن تميّز هذا البحثُ في التَّركيز في أثر الصّلاة على سلوكِ المسلم، باعتبار أنَّ الصلاة معيارٌ لقياس مقدار النَّجاح في الحياة.

واتبعتُ لتحقيق غرض البحث المنهج الاستقرائي من كتب التفسير والفقه والتصوف والحديث فيما يتعلَّق بأثر الصَّلاة، ثمَّ المنهج الاستنباطيّ لاستخراج النَّتائج ممَّا جمعتُ من معلومات، ثُمَّ المنهج التَّطبيقي بإظهار أثره على سلوك المصلي.

والخطّةُ التي سلكتها في تحقيق المراد أني قسمت البحثَ إلى تمهيدٍ ومبحثين وخاتمة:

التَّمهيد: في تعريف الخشوع.

والمبحث الأول: في حقائق حياتية وكونية وشرعية متعلّقة بالخشوع.

والمبحث الثاني: في آثار الصَّلاة على حياة المسلم.

والخاتمة: في أهم النتائج.

---

(١) ينظر: الصلاة سر النجاح ص٣.

التَّمهيد: في تعريف الخشوع:

أولاً: لغةً:

من خَشَع يَخْشَعُ خُشوعاً، واخْتَشَع وتَخَشَّعَ: رَمَىٰ بِبَصَرِهِ نحو الأَرض وغَضَّه وخفَضَ صَوْتَهُ، واخْتشعَ إِذا طأْطأَ صَدْرَه وتواضَعَ، وقيل: الخُشوع قَرِيبٌ من الخُضوع إِلا أَنّ الخُضوع في البَدَن، والخُشوعَ في البدَن والصوْت والبَصَر: كقوله تعالىٰ: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ القلم: ٤٣[1]، **والخشوعُ: السُّكون والتَّذلُّل**[2].

ثانياً: اصطلاحاً: كثُرت العبارات في بيان أوصافه، ومنها:

قال ابن رجب: «وأصل الخشوع: هو لين القلب ورقته، وسكونه، وخضوعه، وانكسارُه، وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنَّها تابعة له، كما قال النبي ﷺ: «... ألاَ وَإِنَّ فِي

---

(١) ينظر: اللسان٨: ٧١.

(٢) ينظر: القاموس١: ٧١٣.

الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

والخشوع: خمودُ نيران الشَّهوة، وسكون دخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب، واستحضار عظمة الله وهيبته وجلاله.

قال الجنيد: الخشوع: تذلُّل القلوب لعلام الغيوب.

والقلبُ أمير البدن، فإذا خَشَعَ القلب، خشع السَّمع والبصر والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ عنها، حتى الكلام.

والخشوع يقظةٌ دائمةٌ لخلَجَات القلب وخفقاته ولفتاته حتى لا يتبلَّد، وحذَرٌ من هواجسه ووساوسه، واحتياط من سهواته وغفلاته ودفعاته، خشية أن يزيغ وتعتريه القسوة(٢).

ويلاحظ أنَّ الخشوع على صورتين: في الصلاة وخارجها، وما يكون منه في الصلاة طريق لتحقيقه في خارجها، والعكس بالعكس.

ويمكن تعريف خشوع الصلاة: **هو سكون القلب لله تعالى وتعلُّقه به دون سواه.**

---

(١) في صحيح البخاري١: ٢٠، وصحيح مسلم٣: ١٢١٩، وغيرهما.

(٢) ينظر: الخشوع للقحطاني ص١٢، وكيف تخشعين في الصلاة ص٣، والخشوع للصباغ ص١٦، وفصل الخطاب ص٨: ٤٢٠.

وخشوع خارج الصلاة: **خضوع الجوارح لأوامر الله في أقوالها وأفعالها مع الإخلاص والتَّذلُّل له دون سواه.**

وبيان مقتضى كلّ واحدٍ من التَّعريفين سيكون ملاحظاً في طيَّات البحث، فلا حاجة للوقوف مع كلٍّ منهما.

* * *

المبحث الأول
في حقائق حياتية وكونية
وشرعية متعلّقة بالخشوع

رأيتُ من المناسب قبل الكلام عن أثر الصَّلاة على سلوكيات المسلم أن أخصّ مبحثاً في تقرير بعض القواعد التي تصلح أن تكون مقدمات؛ ليظهر مدى الحاجة للعبادات عامّة، وللصلاة خاصة، وبيان حكمة الله تعالى في شرعها، ممَّا يُنبهنا على إعادة النظر في أهمية التقرّب إلى الله في حياتنا، وكثرة نعم الله علينا بهذا الشَّرع العظيم، وما احتواه من عباداتٍ تستقيم بها الدُّنيا والأخرى.

الأولى: صعوبةُ الحياة وشدّتها:

وهذا ما قَرّره القرآن الكريم بقوله جلاله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ البلد: ٤: أي لقد خلقنا ابن آدم في شدّةٍ وعناءٍ ونصبٍ كما قال ابن

عَبَّاس والحَسَن وقَتادة[١]، والواقعُ يُصدِّقُ هذا، فيولد المرءُ في صعوبةٍ وشدّةٍ عظيمةٍ تكاد أن تكون هي الأشدُّ على أمّه، ويخرج من الدُّنيا بعناءٍ كبيرٍ، حتى اعتبر الله تعالى الموت مصيبة: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ المائدة: ١٠٦، وأَخبر النبيُّ ﷺ في مرض موته عن شدّة الأمر فقال: «لا إله إلا الله، إنَّ للموت سكرات»[٢].

وبين الحياة والموت شدائد لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ من مرضِه ودراستِه وعملِه وعلاقاتِه، قال جل جلاله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ البقرة: ١٥٥، ومَن لم ينتبه لهذه الحقيقة الكونيّة، ويظنّ أنَّ الدنيا دارُ راحةٍ ودَعةٍ يجتمع له عنائها وعناءُ عدم صحّة فهمها والتَّعامل معها، فتزداد شدَّتُها عليه، وبالتالي فلن يرىٰ أهمية الصلاة وأثرها وحاجته لها في حياته.

الثّانية: البلوى والاختبار:

وهذا تأكيدٌ للحقيقة الأولىٰ وتكملةٌ لها، فلم يكن وجدونا في الدُّنيا إلا للامتحان، فيعرف أهل الجنة من أهل النار؛ قال جل جلاله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ

(١) تفسير الطبري ٢٤: ٤٣٣.

(٢) في صحيح البخاري ٦: ١٣.

﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢١٤، وقال ﷺ: «إنَّ العبد إذا سبقت له من اللهِ منزلةٌ، لم يبلغها بعملِه ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده»[١].

قال الإمامُ المحاسبيّ[٢]: «واعلم أنَّ الدُّنيا كلَّها كثيرها وقليلها حلوها ومرها، وأوَّلها وآخرها، وكلُّ شيءٍ من أمرِها بلوىٰ من الله تعالىٰ للعبد واختبار... والقرآنُ يُقرِّر الابتلاء بالدنيا كلها»، ومنها:

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ الأعراف: ١٦٨.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ المائدة: ٤٨.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ الأنعام: ١٦٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ الملك: ٢.

---

(١) في سنن أبي داود٣: ١٨٣، والمعجم الكبير٢٢: ٣١٨، وغيرها.

(٢) في آداب النفوس ص٧١.

فهنالك آيات عديدةٌ تؤكِّدُ أننا لم نوجد في الدُّنيا إلا للامتحان والاختبار؛ ليتميَّز الخبيثُ من الطَّيب، والصَّالح من الطَّالح، والمحسنُ من المسيء، فيظهر المستحقُّ للجنة والمستحقّ للنار، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الأنفال: ٣٧، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ محمد: ٣١.

فمن هنا نعلم علم اليقين أنّ كلَّ أُمور حياتنا صغيرها وكبيرها، وكلَّ ما يجري معنا في ليلنا ونهارنا من خيرٍ وشرٍّ إنّما هو ابتلاءٌ من الله تعالى واختبار لنا، فليس شرُّه بمقصودٍ وليس خيره بمرادٍ، وإنَّما العبرةُ بما وراء شرّه وخيره من الصَّبر والشُّكر، حتى تصفو نفوسنا وتطهر أرواحنا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسِهِ وولدِه ومالِهِ حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»[1].

ونجاحنا في الامتحان يحتاج إلى الإعانة من الله تعالى، وطريق الوصول لها بالعبادة له سبحانه، والصلاة تكفل لنا هذا.

---

(١) في سنن الترمذي٤: ٦٠٢، وقال: حسن صحيح، وصحيح ابن حبان٧: ١٢٦، وغيرها.

الثالثة: ضعفُ الإنسان:

وهذا ما يُقرِّره الشارع الحكيم في قوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ النساء: ٢٨: أي عاجزاً عن مخالفةِ هواه غيرَ قادرٍ على مقابلة دواعيه وقواه، حيث لا يصبِرُ عن اتّباع الشَّهواتِ، ولا يستخدم قواه في مشاقِّ الطاعاتِ، وعن الحَسَن البصري: أن المرادَ ضَعفُ الخِلْقةِ[1].

هذا الضَّعف الذي جعل النَّاس ينغمسون في شهواتهم وملذَّاتهم، وقدراتُ كلٍّ منهم الجسميّة محدودةٌ، فيحتاج لغيره في تأمين حاجياته والاستعانةِ على أمورِ حياته، فلا يَستغني واحد بنفسه عن غيره، ولا يدَّعي القدرة المطلقة في كلِّ شيء.

ويشعر دائماً أنّه بحاجةٍ أن يلجأ إلى قويٍّ يعينُه ويعتمدُ عليه حتى يجبر هذا الضَّعف الخلقي والنَّفسي والرُّوحي، ويتحقَّق هذا بتعلقّ المسلم بربِّه تعالى، الذي يُلبي هذه الرَّغبة، ويُوفر له الأمان والطَّمأنينة والثِّقة بمعيَّته الدَّائمة معه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ الحديد: ٤، فيعين المحتاج والمضطرّ، ويَرفع ما يَحيق بالعبد، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ النمل: ٦٢ ، بل الأمر كله بيد الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود٢: ١٦٩.

يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ يونس: ١٠٧، فمَن علم هذا وطبَّقه خرج من ضعفٍ إلى قوَّةٍ، فقويت نفسُه وازادة ثقةً واطمأن في حياته.

وهذا يوصلنا إلى النُّقطة التي بعدها من إعانة الله تعالى للإنسان بالدَّين على الحياة.

الرَّابعة: عونُ الدَّين للمسلم في الحياة:

وهذا موضوعٌ واسعٌ جداً وليس محلّاً لبحثنا حتى نستوفي جوانبه، وإنَّما يهمنا الإشارة والتذكير به هاهنا فحسب، فالدينُ يصحِّح نظرة الإنسان للحياة، فيبيّن له حقيقتها، وكيفية التَّعامل معها، والهدف منها، ويكشف اللثام عن نفسه، ويُبيِّن له أمراضها وعلاجها، ويُعطيه الإرشادات المناسبة لكلِّ أفعاله وأحواله وحاجياته، حتى كان الحكم الشَّرعي أشبه بنصيحةٍ يُقدِّمها الله تعالى لعبادِه في كافّة مناحي حياتهم بما يحقِّق لهم السَّعادة في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾﴾ الملك: ٢٢.

ويجعل الدين الطريق لحلّ مصائب الدُّنيا بالصَّبر والشّكر، يقول المحاسبي[1]: «وبلواها وإن كثُرت وتشعَّبت واختلفت، فهو مجموعٌ كلُّه

---

(١) في آداب النفوس ص٧١.

في خلتين في الشُّكر والصَّبر، فإمَّا أن يشكرَ على نعمة أو يصبر على مصيبة»، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ البقرة: ١٥٦، فعن صهيب ﵁، قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمرَه كلَّه خير، وليس ذاك لأحدٍ إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شَكَر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ، صَبَر فكان خيراً له»[1]، وعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «ما يصيب المؤمن من شوكةٍ فما فوقها إلاّ رفعه الله بها درجة، أو حطّ عنه بها خطيئة»[2]، وعن أبي هريرة ﵁ قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه»[3].

الخامسة: سعادة الدنيا بالرضا والقناعة:

إن العقول تحار في حقيقةِ السَّعادة، وهي المعبَّرُ عنها في القرآن بالحياة الطيبة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧، قال بعض السَّلف: الحياة الطيبة: هي الرِّضا والقناعة.

وقال عبد الواحد بن زيد: الرِّضا باب الله الأعظم وجنةُ الدُّنيا ومستراح العابدين، وأهل الرّضا تارةً يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته

(١) في صحيح مسلم٤: ٢٢٩٥، وغيرها.
(٢) في صحيح مسلم٤: ١٩٩١، وموطأ مالك٥: ١٣٧٥، وغيرها.
(٣) في صحيح البخاري٧: ١١٥.

لعبده في البلاء، وأنَّه غيرُ متهم في قضائِهِ وتارةً يلاحظون ثوابَ الرِّضا بالقضاء، فينسيهم ألم المقضي به، وتارةً يلاحظون عظمةَ المبتلي وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدةِ ذلك حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه خواصُّ أهل المعرفة والمحبّة حتى رُبَّما تلذذوا بما أصابهم؛ لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم، وسُئِل بعضُ التَّابعين عن حاله في مرضه فقال: أَحبُّه إليه أحبُّ إليَّ، وسُئِل سري: هل يجد المحبُّ ألم البلاء فقال: لا[1].

وقال ابن أبي رواد: ليس الشأن في أكل الشَّعير ولبس الصُّوف، ولكن في الرَّضا عن الله تعالى.

وقال ميمون بن مهران: مَن لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء.

وقال رجل لابن كرام: أوصني، فقال: اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك[2].

قال المنبجي[3]: «إنَّ الرضا بالمصائب أشقُّ على النُّفوس من الصَّبر، والصَّبرُ من أشقِّ الأشياء على النُّفوس، فعن أنس ﵁ قال ﷺ: «عظم

(١) ينظر: جامع العلوم الحكم١: ١٩٥.
(٢) ينظر: فيض القدير٦: ١٣٧.
(٣) في تسلية أهل المصائب ص١٥٢.

الجزاء مع عظم البلاء، وإن اللهَ إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمَن رضي فله الرِّضا، ومَن سَخِط فله السَّخط»[١].

فالعبد قد يصبر على المصيبة ولا يرضى بها، فالرَّضا أعلى من مقام الصَّبر، لكن الصَّبر اتفقوا على وجوبه، والرِّضا اختلفوا في وجوبه، والشُّكر أعلى من مقام الرَّضا، فإنّه يشهد المصيبة نعمةً، فيشكر المبلي عليها.

قال عمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه: أمَّا الرضا، فمنزلةٌ عزيزةٌ أو منيعةٌ، ولكن قد جعل الله في الصَّبر معولاً حسناً».

والرِّضا والقناعة تتحصَّل بمعرفة الله تعالى، والمعرفة هي الموصلة إلى جنّة الدُّنيا، فمَن لم يدخلها لم يدخل جَنَّة الآخرة، قال يحيى بن معاذ الرَّازيّ: «في الدُّنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى شيء ولم يستوحش، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى»[٢].

وهذه المعرفة لله تعالى لها أسبابٌ عديدةٌ من صلاةٍ وذكرٍ لله تعالى وتربيةٍ للنفس وثقةٍ بالله ويقينٍ، قال بعضُ العارفين: «في الدُّنيا جنةٌ هي كالجنّةِ في الآخرة، فمَن دخلها دخل تلك الجنَّة يريد مجالس ذكر الله تعالى لما يدركون فيها من سرور القلب وفرحه بذكر الرَّبِّ وابتهاجه وانشراحه

(١) في سنن ابن ماجة ٢: ١٣٣٨، وسنن الترمذي٤: ٦٠١، وحسنه.

(٢) ينظر: قوت القلوب١: ٢٦٢.

ونوره، حتى قال بعض مَن ذاق: هاتيك اللّذّة: لو عَلِم الملوك بعض ما نحن فيه من النَّعيم لجَلدونا عليه بالسُّيوف، وقال آخر: إنّه ليمرّ بالقلبِ أوقاتٌ إن كان أهل الجنّة في مثلها إنّهم لفي عيش طيب»[١]، فإن كان مجلس الذِّكر يفعل هذا، فالصَّلاة الخاشعة من باب أولى.

وقال الغزاليُّ: الرَّضى بما قسم الله لكلِّ امرئ من نصيبه في الدُّنيا مدعاةٌ لترك الذَّم والغيبة والحسد في المال والجاه والعلم، قال تعالى: {**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**} الزخرف: ٣٢[٢].

السَّادسُة: النَّفس الأمارة:

مما ينبغي تقريره والتَّذكير به حال نفوس عامّة البشر، التي هي من صنفِ النَّفس الأمارة بالسُّوء، ومَثَّل الغزاليُّ[٣] لحال المؤمن مع نفسِهِ فقال: «بدنُه كمدينةٍ، وعقلُه كملك مُدبّر لها، وقواه المدركة من الحواس الظَّاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه، وأعضاؤه كرعيته، والنَّفسُ الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب، كعدوّ ينازع في مملكته، ويسعى في إهلاك رعيته، فصار بدنه كرباط وثغر، ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن جاهد عدوّه وأسره وقهره على ما يجب، حمد أثره إذا عاد إلى حضرته

---

(١) ينظر: فيض القدير١: ٤٤٢.

(٢) ينظر: أيها الولد ص٥٩.

(٣) في ميزان العمل ص ٢٣٩.

تعالى، وإن ضيّع ثغره وأهل رعيته، ذمّ أثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى...»، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «ليس الشديد بالصَّرعة، إنّما الشَّديد الذي يملك نفسَه عند الغضب»[(١)].

قال القشيريُّ[(٢)]: «اعلم أنَّ مخالفة النَّفس رأس العبادة، وقد سئل المشايخ عن الإسلام؟ فقالوا: ذبح النَّفس بسيوف المخالفة.

واعلم أنَّ مَن نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أُنسه، وقال ذو النون المصري : : مفاتح العبادة الفكرة، وعلامةُ الإصابة مخالفة النفس والهوى، ومخالفتها ترك شهواتها.

وقال ابنُ عطاء: النَّفسُ مجبولةٌ على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنَّفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردُّها بجهدِه عن سوء المطالبة، فمَن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها.

وقال الجنيدُ :: النَّفسُ الأمارة بالسُّوء هي الدَّاعيةُ إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء.

وقال أبو حفص: مَن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيَّامه كان مغروراً، ومَن نظر إليها باستحسان شيءٍ منها فقد أهلكها، وكيف يصحُّ لعاقل الرَّضا

(١) في صحيح البخاري ٨: ٢٨، وصحيح مسلم ٤: ٢٠١٤.
(٢) في القشيرية ص٢٨٣.

عن نفسِهِ والكريمُ بنُ الكريمِ بنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام يقول: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ يوسف: ٥٣».

وقسَّم علماء التَّربية والتَّصوف بعد النَّظر والتَّأمل والتَّدبُّر في كتابِ الله تعالىٰ صفات النَّفس إلىٰ ثلاثة:

١.**النَّفسُ المطمئنةُ**: وتكون إذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ الفجر: ٢٧ - ٢٨، قال الحسن البصري :: «المؤمن قوام علىٰ نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خَفَّ الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم فى الدُّنيا، وإنَّما شَقَّ الحساب يوم القيامة علىٰ قوم أخذوا هذا الأمر علىٰ غير محاسبة»[1].

٢. **النَّفسُ اللَّوامةُ**: وتكون إذا لم يتمّ سكونها، ولكنَّها صارت مدافعةً للنَّفس الشَّهوانية ومعترضةً عليها، وسُميت بذلك؛ لأنَّها تلومَّ صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ القيامة: ٢، قال الحسنُ: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه

---

(١) في السنن الكبرىٰ للنسائي١٠: ٤٠٦، والزهد والرقائق لابن المبارك ص١٠٣، ومصنف ابن أبي شيبة١٩: ٣٧١، وغيرها.

يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً فلا يعاتب نفسه»[١].

قال مالك بن دينار: «رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثمّ ذمَّها، ثمّ خطمها، ثمّ ألزمها كتاب الله ﷻ، فكان لها قائداً»[٢].

٣.**النَّفسُ الأمارةُ**: إن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشَّهوات ودواعي الشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ يوسف: ٥٣[٣]، قال الغزالي[٤]: «واعلم أنَّ نفس المجاهدة تهذب نفسك حتى تصير ملكاً روحانيّاً، وبمتابعة الغفلة والشهوات تصير شيطاناً رجيماً، فجاهد النفس الأمارة بالسوء تمح صفات آفاتها حتى تصير لوّامة، ثم انقل اللوامة إلى مقام المطمئنة».

واعلم أنَّ للإنسان في مجاهدة الهوى ثلاثة أحوال:

الأولى: أن يغلبه الهوى، فيملكه ولا يستطيع له خلافاً، وهو حال أكثر الخلق، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾

---

(١) في الزهد لأحمد ص٢٢٨.
(٢) في محاسبة النفوس لابن أبي الدنيا ص٢٦، واعتلال القلوب ص٢٨، وتاريخ دمشق٥٦: ٤٢٠، وغيرها.
(٣) ينظر: الإحياء٣: ٤.
(٤) في رسائل الغزاليّ١: ٤٩٨.

الجاثية: ٢٣؛ إذ لا معنى للإله إلا المعبود، والمعبود هو المتبوع إشارته، فمَن كان تردُّده في جميع أطواره خلف أغراضه البدنيّة وأوطاره، فقد اتخذ إلهه هواه[١].

والخلق ينقادون ويطيعون أهواءهم، ويبادرون مرادات أنفسهم، والحقّ مخالفتها، بالتشمير والاستعداد لمجاهدتها وعدم اتباع هواها حتى ترتاض لطاعة الله وتنقاد. والهوى: ميل النفس إلى مقتضيات الطبع؛ ولهذا كان عادة أولياء الله تعالى مخالفة النَّفس في جميع ما تشتهي حتى في نحو المباحات، قال ابن عطاء: النفس لا تألف الحقّ أبداً، وقال سهل: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس[٢].

الثّانية: أن يكون الحرب بينهم سجالاً، تارةً لها اليد وتارةً عليها اليد، فهذا الرَّجلُ من المجاهدين، فإن اخترمته المنية في هذه الحالة، فهو من الشهداء...، وهذه الرتبة العُليا للخلق، سوى الأنبياء والأولياء.

الثالثة: أن يغلب هواه، فيصير مستولياً عليه لا يقهره بحال من الأحوال، وهذا هو الملك الكبير، والنَّعيم الحاضر، والحريّة التّامّة، والخلاص عن الرّقّ[٣]، كما حال الأنبياء والأولياء، فعن ابن مسعود رضي الله عنه

---

(١) ينظر: ميزان العمل ص٢٤٠، والذريعة إلى مكارم الشريعة ص٩١.

(٢) ينظر: السراج ص٥٦-٥٧.

(٣) ينظر: ميزان العمل ص٢٤٠، والذريعة إلى مكارم الشريعة ص٩١.

قال ﷺ: «ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك؟ يا رسول الله قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ في حقِّ عمر رضي الله عنه: «ما سلك عمر فجاً، إلا وسلك الشيطان فجاً غيره»[٢].

فلا ينبغي للمسلم أن يدخر جهداً في تربية نفسه وكسر هواها وامتثال رضى الله تعالى، وسبيل ذلك التزام الشرع وتكاليفه.

* * *

(١) في صحيح مسلم٤: ٢١٦٧، وصحيح البخاري٨: ٦٦، وغيرهما.

(٢) في مسند البزار١٦: ٤٩، وفضائل الصحابة لأحمد١: ٣٢٠، والشريعة للآجري٤: ١٩٠٩، وتاريخ ابن عساكر٤٤: ٨١، وغيرها.

المبحث الثاني
آثار الصَّلاة على
حياة المسلم

من خلال المبحث السابق لاحظنا مقدار الحاجة الكبيرة لدى المسلم للعبادات وعلى رأسها الصلاة؛ ليفهم الدُّنيا وسنتها، وطريقة التعامل معها، والصبر عليها، والتقوي بالله تعالى على شدائدها، والاستعانة بالله تعالى على مصائبها، والحذر كل الحذر من نفسه الأمارة بالسوء، والآن أوان عرض بعض الآثار المترتبة على الصلاة في إصلاح حياة صاحبها.

١ .ترك كافة الفواحش وجميع المنكرات:

وهذا صريحٌ في القرآنِ الكريم: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ العنكبوت: ٤٥، والفحشاء: الفعلة القبيحة كالزنا مثلاً، والمنكر هو ما يُنكره الشَّرع والعقل[١].

---

(١) ينظر: تفسير النسفي ٢: ٦٧٨.

فاشتغاله بها ابتداءً يمنعه من إتيان الفواحش والمنكرات، وهي سببٌ للانتهاءِ عنهما؛ لأنَّها مناجاةٌ لله تعالى فلا بدَّ أنْ تكونَ مع إقبالٍ تامٍّ على طاعتِه وإعراضٍ كليّ عن معاصيه[١]، فمَن كان مراعياً للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السّيئات يوماً ما[٢]، قال أبو العالية: «إنَّ الصَّلاةَ فيها ثلاث خلال، فكلُّ صلاةٍ لا يكون فيها شيءٌ من هذه الخلال فليست بصلاة: الإخلاصُ والخشيةُ وذكرُ الله، فالإخلاصُ يأمره بالمعروف، والخشيةُ تنهاه عن المنكر، وذكرُ الله القرآن يأمره وينهاه»[٣].

وعلى كلِّ حال إنَّ المراعي للصَّلاةِ لا بُدّ أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممَّن لا يراعيها، وأيضاً فكم من مصلّين لا تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر، واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلّين عن قضيتها[٤].

وهذا بسبب أنَّه لم يقم بها على الهيئة المأمور بها، قال ابنُ مسعود ﵁: «مَن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد من الله إلا

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود٧: ٤٢.
(٢) ينظر: تفسير النسفي٢: ٦٧٨.
(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم٩: ٣٠٩٩.
(٤) ينظر: تفسير الزمخشري٣: ٤٥٦.

بعداً»[١]، وذلك أن أمر الصلاة له إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر[٢].

فالحاصل أنَّ الصَّلاة أفضلُ وسيلةٍ للاستقامة بترك الفواحش والمنكرات لمن يؤدِّها بحقِّها ويُجاهد نفسَه في التزام أوامرها، لا مَن تكون وسيلةً له للرِّياء والنِّفاق في الدُّنيا، فستكون حجةً عليه لا له، وتزيده معصيةً ووزراً وإثماً وبعداً عن الله بأن جعلها وسيلة للدنيا لا للآخرة، فعن ابن عَبَّاس ﷺ قال ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلا بعداً»[٣].

وإنَّ مَن يفقد التربية من صلاته يصعب ملاحقة مفردات سلوكه وتعديل أخلاقه وتصرُّفاته؛ لأنَّه الصَّلاة تزرع في النَّفس القوَّة الموجهة للذَّات التي تقودها إلى المكرمات وتذودها عن السَّفاسف والدَّناءات[٤].

٢.الإعانة على تحمَّل أعباء الحياة:

سبق تقرير أنَّ مبنى الحياة على الشِّدَّةِ والصُّعوبة والابتلاءِ والامتحان، ومبنى حال الإنسان على الضَّعف، فلا بُدَّ له من معين على

(١) في المعجم الكبير٩: ١٠٣، والزهد لأبي داود ص١٣٥، وشعب الإيمان٤: ٤٥٦، وغيرها.

(٢) ينظر: تفسير الطبري٢٠: ٤٢.

(٣) في المعجم الكبير١١: ١٥٠، ومسند الشهاب١: ٣٠٥.

(٤) ينظر: الصلاة سر النجاح ص١٢.

عبء الدُّنيا، وإلاّ لهلك وسقط وفشل في حياته، ومن عظيم نعم الله علينا أن أمدنا بهذه الصَّلاة العظيمة المعينة على الحياة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ البقرة: ٤٥.

وأصل الصبر: الإمساك، وهو ضربان: صبر عن المشتهى، وهو العفة، وصبر على المكروه وهو الشجاعة، والصلاةُ أرفع منزلة من الصَّبر؛ لأنها تجمع ضروباً من الصَّبر؛ إذ هي حبسُ الحواس على العبادة، وحبس الخواطر والإفكار على الطاعة، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ البقرة: ٤٥، وخصها برد الضمير إليها دون الصبر[١]؛ بأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة، محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب، وحفظ النيات، ودفع الوساوس، ومراعاة الآداب، والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع، واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات؛ ليسأل فكّ الرقاب عن سخطه وعذابه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ طه: ١٣٢[٢].

فالمعنيان للآية ـ كما يقول الزمخشري:[٣]: «وَاسْتَعِينُوا على حوائجكم

---

(١) ينظر: تفسير الراغب ١: ١٧٧.
(٢) ينظر: تفسير الكشاف ١: ١٣٣.
(٣) في تفسيره ١: ١٣٣.

إلى اللهِ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ أي بالجمع بينهما، ... أو: واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها» ـ ، مآلهما واحدٌ، فإنَّ الطريق إلى الله تعالى بأداء واجباتكم وطلب حوائجكم موصلةٌ إلى القدرة على تحمّل المشاق والصِّعاب والبلايا.

قال أبو السُّعود:[1]: «استعينوا على حوائجكم بانتظار النُّجْحِ والفرَج توكلاً على الله تعالى أو بالصَّوم الذي هو الصبرُ عن المفطِرات لما فيه من كسر الشهوةِ وتصفيةِ النفس والتوسُّل في الصَّلاة والالتجاء إليها، فإنها جامعةٌ لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطَّهارة وسترِ العورة وصرفِ المال فيهما، والتَّوجهِ إلى الكعبة، والعكوفِ على العبادة، وإظهارِ الخشوعِ بالجوارحِ، وإخلاصِ النيّة بالقلب ومجاهدةِ الشيطان، ومناجاة الحقِّ، وقراءةِ القرآنِ، والتَّكلُّمِ بالشهادة، وكفِّ النفسِ عن الأطيبَيْنِ حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب».

وقال القشيريُّ[2]: «الصَّبرُ فطم النَّفس عن المألوفات، والصَّلاة التَّعرُّض لحصول المواصلات، فالصُّبرُ يشير إلى هجران الغير، والصَّلاة تشير إلى دوام الوقوف بحضرة الغيب، وإن الاستعانة بهما لخصلة شديدة إلاّ على مَن تجلّى الحقّ لسرّه».

---

(١) في تفسيره١: ٩٨.

(٢) في تفسيره ١: ٨٧.

فالله تعالىٰ خلق الإنسان في عناءٍ وابتلاء، وجعل له سلاحاً وهو الصَّبر والصَّلاة، فكأنَّه في معركة، فليحذر أن ينسىٰ ذلك ويضع سلاحه ويترك الجهاد فيهزم ويخسر[1] في دُنياه وعُقباه.

٣.الرَّاحة النَّفسية وعدم ضيق الصَّدر:

ومبنىٰ هذه الرَّاحة علىٰ الفكر والقلب، فمَن كانت نظرته صحيحة للحياة نال هذه الراحة، ومَن أخطأ في فهمه لها عاش حياةً ضنكاً، والصلاة هي رأسُ المناجاة والذِّكر وحسن الفهم للدنيا؛ لما تشتمل عليه من تربية ومعاني لا تدرك في غيرها، فمَن حرم الصلاة والخشوع فيها لم يكن من حَزِرَ الحياة الدُّنيا وفهمها، ولا أحرزَ الصِّفات الأصيلة التي يسعد بها الإنسان في حياته، قال القشيري :[2]: «مَن أعرض عن استدامة ذكره سبحانه بالقلب توالت عليه من تفرقةِ القلب ما يسلب عنه كلّ روح، ومن أعرض عن الاستئناس بذكره انفتحت عليه وساوس الشَّيطان، وهواجس النّفس بما يوجب له وحشة الضَّمير، وانسداد أبواب الرَّاحة والبسط».

قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ طه: ١٢٤، ومعنىٰ ذلك: أنَّ مع الدين التسليم والقناعة والتوكل علىٰ الله، وعلىٰ قسمته، فصاحبه يُنفق ما

---

(١) ينظر: الصلاة سر النجاح ص٥.

(٢) في تفسيره٢: ٤٨٦.

رزقِه بسماح وسهولةٍ، فيعيش عيشاً رافعًا كما قال تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ النحل: ٩٧، والمعرِضُ عن الدين، مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلطٌ عليه الشحُّ الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشُه ضنكٌ وحالُه مظلمةٌ، كما قال بعض المتصوّفة: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلاّ أظلم عليه وقته وتشوَّش عليه رزقه[(١)].

وذلك لأنَّ مجامعَ همتِه ومطامحَ نظرِه مقصورةٌ على أعراض الدُّنيا، وهو مُتهالكٌ على ازديادها وخائفٌ من انتقاصِها بخلاف المؤمنِ الطَّالبِ للآخرة مع أنّه قد يضيق اللهُ بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الأعراف: ٩٦[(٢)].

فمَن يعرض عن ذكر الله تعالى يكون له معيشةً ضيقةً، والضنكُ من المنازلِ والأماكن والمعايش: الشَّديد، يُقال: هذا منزلٌ ضنكٌ: إذا كان ضيقاً[(٣)]، فكلُّ مال أَعطيته عبداً من عبادي قلَّ أو كَثُر، لا يتقيني فيه، لا خير فيه، وهو الضَّنك في المعيشة...، فإذا كان العبدُ يكذّب بالله تعالى، ويُسيء الظنَّ به، اشتدّت عليه معيشتُه، فذلك الضَّنك[(٤)].

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف٣: ٩٥، وتفسير النسفي٢: ٣٨٨.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود٦: ٤٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري١٨: ٣٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري١٨: ٣٢٩.

ويكون الضَّنكُ بالمعاصي بما أُعطوا من المال وأُنعموا فيه؛ لأنّ توسعَهم يكون في معصية، فنفى عنهم الانتفاع به كما نفى عنهم السَّمع والبصر واللِّسان باستعمالهم هذه الجوارح في المعصية على قيامها؛ لما ذهبت منافعها في الطَّاعة[1].

فحاصل الأمر أنَّ هذا الضِّيقَ كان بالإعراض عن ذكر الله تعالى، الذي روحُه الصَّلاة، وبإساءة الظَّنِّ بالله تعالى، وفقدان أسبابِ الرَّاحةِ النَّفسيّةِ المتحقّقةِ في الصلاة الخاشعة.

٤ .وضوحُ الطَّريق ومعرفةُ الهدف من الحياة:

تؤثر الصَّلاة في بيانِ غايةِ الإنسانِ من الحياةِ، وهو رضاءُ الله والعيشُ له وحده، وتوضح له الطَّريق الذي يُسلك في تحقيقِها، بأن يلتزمَ أوامر الله تعالى ونواهيه ويراعي حدوده، ففي كلِّ صلاةٍ تذكرةٌ لغايته من الحياةِ، وبكلِّ قراءةٍ وخشوعٍ يعرفُ الطَّريق الموصل له، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ﴾ الملك: ٢٢: أي ما ظهرَ من سوءِ حالِهم وخرورِهم في مهاوِي الغرورِ وركوبِهِم متنَ عشواءِ العتوِّ والنفورِ وعدمِ اهتدائِهم في مسلكِ المُحاجَّةِ إلى جهةٍ يتوهمُ فيها رشدٌ في الجملة، ﴿أَمَّن

(١) ينظر: تفسير الماتريدي٧: ٣١٧.

﴿يَمْشِي سَوِيًّا﴾ الملك: ٢٢: أي قائماً سالماً من الخبطِ والعثارِ ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ الملك: ٢٢: مستوِي الأجزاءِ لا عِوَجَ فيهِ ولا انحرافَ[1].

فالمهتدي المصلي هو العارفُ بما له وعليه، السَّائر في طريقِه بلا عوج وانحرافٍ، والمتبصِّرُ بالحياة وحالها، والمطبقُ لمرادها ومقصدها، بخلاف المعرض عن الصَّلاة، فهو المتخبطُ الضَّائع التَّائه في ضلالات الدُّنيا، وانحرافات الهوىٰ، الغارقُ في شهوات النفس ورغباتها.

٥. تحقيق التَّوكل التَّام:

والتوكل: هو تفويضُ المسلم أمره إليه تعالىٰ، طالباً عرفانه وقربه، ورضاءه مُنقاداً لحكمِه من النَّفع والضَّرر والمحنةِ والضر، راضياً بقضائه وشاكراً لنعمائه، وصابراً لبلائه[2].

ومعلوم أنَّ الأمورَ كلَّها بيد الله من خير ورزق وعلم ونفع، ونحن مطالبون بالاعتماد عليه، والصَّلاة هي المعينُ الأكبر في تحقيق هذا، بحيث ترتفع بالمرء بعدم قبول إلا الحقّ، وهو أن لا ترضى ولا تقنع بشيء دون الحق؛ لأنَّه مَن رضي من الدُّنيا بالدُّنيا فهو ملعونٌ، ومَن رضي من الزُّهد بالثَّناء فهو محجوبٌ، ومَن رضي من الحقِّ بشيء مما دون الحقِّ كائناً ما كان فهو طاغ، فالحذر الحذر عمَّ سوىٰ الحق، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

(١) ينظر: تفسير أبي السعود٩: ٩.
(٢) ينظر: السراج ص٨٠.

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴿١٦٢﴾﴾ الأنعام: ١٦٢، فالسَّالك لا يرغب إلى شيء سوى الله تعالى، ويطهر قلبه عن كلِّ شيء غير الله تعالى، ويزين جميع أركانه وجوارحه بحدود الله تعالى بأن يكون صادقاً في طلب الله تعالى[1].

ويفيد التَّوكل الثقةُ بالله والاعتماد عليه بأن يرزقه ولو بسبب نحو الكسب بلا ثقة واعتماد على نفس الكسب[2]، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧، فانظر كيف ربط سبحانه ما بين الرزق وبين التقرب له.

وعن عمر رضي الله عنه قال ﷺ: «لو أنكم تتوكَّلون على الله حَقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطَّير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[3]، وهذا تأكيد آخر لكفالة الرزق، أننا مطالبون بالتوكل لا به، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ طه: ١٣٢: أي جاهد نفسك على فعلها وإتقانها وإحسانها وكثرتها ولا تضع وقتك وحياتك في البحث عن الرزق وتأمين المستقبل، فالله لم يخلقك لتتعب وتشقى في

---

(١) ينظر: السراج ص٦٥.

(٢) ينظر: السراج ص٨١.

(٣) في مسند أحمد١: ٣٢٣، وسنن الترمذي٤: ٥٧٢، وقال: حسن صحيح، وسنن ابن ماجة٢: ١٣٩٤، وصحيح ابن حبان٢: ٥٠٩، ومسند أبي داود الطيالسي١: ٥٥.

طلب رزقك فقد كفله لك حين تصطبر على الصلاة، فمتى رعيت هذه الصَّلاة وقمت بها كما يجب فإن رزقك مكفول[1].

فالمتوكل يستغني عن الاعتماد على غير الله تعالى من المخلوقات والدراهم والملك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ الطلاق: ٣ [2]، فكم هذه من نعمة هنيئاً لَمن رزقها، وتعساً لَمن سلبها، وشكراً لله على صلاة بخشوع توصل إليها.

٦ .تربيةٌ متواصلة للنَّجاح في الحياة:

النجاح في الحياة بالقرب من الرَّحمن، والبُعد عن الشَّيطان، وترك هوى النَّفس ورغباتها، وبمقدار تعلُّقك بربِّك واستحضارُه في لحظاتِ حياتِك تحقِّق نجاحك وفلاحِك في دنياك وأُخراك، وبقدرِ بُعدك عن شيطانك وأوهام نفسك ونزواتها وشهواتها فشلُك وضلالُك وضياعُك وسقوطُك.

قال الخادميُّ[3]: «الرَّاحةُ هو الخلاص من أماني النفس»: أي هواها ورغباتها.

وقال أيضاً[1]: «اللِّذةُ والرَّاحةُ ليس إلاّ بالعبادة والذِكر».

---

(١) ينظر: الصلاة سر النجاح ص١٠.

(٢) ينظر: أيها الولد ٦٣.

(٣) في السراج ص٥٦.

وما الصلاة إلا مناجاة للخالق فيها إعدادٌ مستمرٌ للنجاح في حياته والسَّعادة بها، فهي أشبه ما يكون بدوراتٍ متعاقبة، وتربيةٍ متواصلة على مدار اليوم من أجل استعدادٍ أكبر للمسلم للتفوُّق في حياته؛ لما تشتمل عليه من الأوصاف العديدة المهيئة للإنسان في النجاح.

فالفوز والنجاح والسعادة في الدنيا والآخرة للخاشعين في صلاتهم[٢]، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ المؤمنون: ١-٢، فالفلاح: الفوزُ بالمرام والنَّجاةُ من المكروه: أي فازوا بكلِّ خيرٍ ونجوا من كلِّ ضيرٍ حسبما كان ذلك مُتوقعاً من حالِهم فإنَّ إيمانَهم وما تفرَّعَ عليه من أعمالِهم الصَّالحةِ من دواعي الفَلاحِ بموجب الوعدِ الكريمِ[٣].

٧. تقوية للمسلم على شيطانه:

للمؤمن عدوان، وهما: الشَّيطان والنَّفس، إن انتصر عليهما سَعِد ونَجَح، وإن انتصرا عليه خاب وخسر، ولا بُدّ له من معينٍ عظيم عليهما، ولا معين له عليهما إلا الله تعالى، وأقوى صلة له بربِّه سبحانه هي

---

(١) في السراج ص٥٧.
(٢) ينظر: الخشوع للقحطاني ص٢٠.
(٣) ينظر: تفسير أبي السعود٦: ١٢٣.

الصَّلاة، فهي المناجاةُ مع الله والالتجاء والتوكُّل عليه، قال سهل التستري: «من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان»[١].

قال ابن الجوزي[٢]: «اعلم أنَّ الآدميَّ لما خُلِق رُكِب فيه الهوىٰ والشهوة؛ ليجتلب بذلك مَا ينفعه، ووضع فيه الغضب ليدفع به مَا يؤذيه، وأُعطىٰ العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخُلِق الشَّيْطَان محرضا لَهُ عَلَىٰ الإسراف فِي اجتلابه واجتنابه، فالواجب عَلَىٰ العاقل أن يأخذ حذره من هَذَا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام، وَقَدْ بذل عمره ونفسه فِي فساد أحوال بني آدم، وقد أمر اللهَّ تعالىٰ بالحذر منه فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ البقرة: ١٦٨، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾ البقرة: ٢٦٨، وقال تعالىٰ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ النساء: ٦٠ وفي القرآن من هَذَا كثير».

فحين طُرد الشَّيطانُ من الجنّةِ أقسم بعِزّةِ الله تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ صَ: ٨٢ - ٨٣، استثنىٰ المخلصين؛ لأنَّه لا يقدر عليهم، وليس له عليهم سلطانٌ كما أَخبر الله

---

(١) ذكره الثعالبي في تفسيره، ٣: ٦٤ وعزاه لسهل التستري أيضاً، ومثله الفيروزأبادي في بصائر ذوي التمييز، ١: ٧٢٢.

(٢) في تلبيس إبليس ص٢٣.

تعالىٰ بذلك ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ الحجر: ٤٢، والصَّلاةُ القائمةُ تُحقِّقُ الإخلاصَ الذي يحفظُ ويُحصنُ العبدَ من الشَّيطان؛ لأنّها تُحقِّق إخلاص العبوديّة لله رَبّ العالمين، إذ الصَّلاة حرزٌ وسياجٌ قويٌّ يحفظ ويحمي العبد من كيدِ الشَّيطان، هذا هو التَّشخيص، وهذه هي المعادلةُ في هذه القضية[1].

وقد حذرنا الله تعالىٰ من عدواة الشيطان، وأنَّه العدو الحقيقي لنا، فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فاطر: ٦: قال الغزالي[2]: «المعاداة للشَّيطان لا للمسلم لأيِّ غرض كان من رئاسةٍ وجاهٍ وغيرها»، فالتَّنبيه علىٰ عداوةِ الشَّيطانِ بيانٌ لخطرها وضرورةِ التَّركيز عليها، والإعراضُ عن غيرها من العدواةِ المصطنعة في الدُّنيا مع المسلمين.

٨.تقويةٌ للمسلم على نفسِهِ:

يجب أن يكون علمُ وعملُ المسلم لإرضاء الله تعالىٰ وتهذيب أخلاقِهِ وكسرِ النَّفسِ الأَمارة[3]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٣﴾ يوسف: ٥٣: أي: ما عصم ربي؛ لأنَّ النَّفسَ جُبِلَت وطُبِعَت علىٰ الميلِ إلىٰ الشَّهواتِ واللَّذاتِ والهوىٰ

(١) ينظر: الصلاة سر النجاح ص٨.
(٢) في أيها الولد ص٦٠.
(٣) ينظر: أيها الولد ص٢٤.

فيها، والرَّغبةُ والتَّوقي عن المكروهاتِ والشَّدائد؛ ألا ترىٰ أنَّه قال: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾ النازعات: ٣٧ - ٤١: أثبت للنَّفس الهوىٰ وإيثار الحياة الدُّنيا وشهواتها[١].

فالكيّسُ مَن دان نفسه، وعَمِل لما بعد الموت، والأحمقُ مَن أتبع نفسَه هواها، وتمنَّىٰ علىٰ الله المغفرة[٢].

قال العز بن عبد السلام[٣]: «النُّفُوس مجبولة علىٰ طلب مَا يلائمها من شهواتها ولذاتها وَمن أعظم شهواتها التَّعْزِير والتَّوقير وَدفع مَا يؤلمها وجلب مَا يلذ لَهَا».

وقال الغزاليّ[٤]: «اجعل الهمّة في الرُّوح، والهزيمة في النَّفس، والموت في البدن؛ لأن منزلك القبر»، وهذه الهمة للروح تحصل بكثرة القرب إلىٰ الله تعالىٰ، والصلاة أكبر القرب في تحقيق ذلك، فتنكسر النفس وتبعد عن الشَّهوات، «فمع كل انتقال في الصلاة تعلن أن الله أكبر، وحين

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي٦: ٢٥٤.
(٢) ينظر: السراج ص٢٣.
(٣) في مقاصد الرعاية ١: ٥٦.
(٤) في أيها الولد ص٣٣.

تقولها وأنت مدرك لمعانيها فإن هذا التِّكرار لهذه الكلمة كفيلٌ بتعميق الإيمان في القلب وحفظه من كلِّ شرٍّ وطرد كل شيطان»[١].

وقال الخادمي[٢]: «مخالفة النفس أساس الأمر بين العبد وبين الله تعالى، فلا تغفل عن الله تعالى بالاشتغال على حظّ النفس والاتباع على هواها»، والانشغال بالله بالإقبال على طاعته بالصلاة وغيرها، فكم يكون في الصلاة مخالفة للنفس من الاستيقاظ مبكراً، وحبسها في العبادة، وترك كسلها بتلبية أوامر الله تعالى؟.

فالصلاة عامل رئيس في الإعانة على مخالفة عادات النفس وكشف عوارها وترك هواها، وبمقدار تحقيق هذا في حياة المسلم يكون نجاحه، قال القشيري: «أصل المجاهدة فطم النفس عن المؤلوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات»[٣].

٩. التفكُّر والتَّدبُّر في ملكوتِ السَّموات والأرض بقلوب صافية:

يحيى الإنسان في عوالِم من الخيالات والأوهام اكتسبها من لغطِ النَّاس وجهالاتهم وعاداتهم، وبمقدار هدايته من الله تعالى ترتفع عنه

---

(١) ينظر: الصلاة سر النجاح ص٣٥.
(٢) في السراج ص٨٠.
(٣) ينظر: السراج ص٨٠.

هذه الظلمات بنور الله المبين، وتظهر له الأمور على حقيقتها، وتتكشف له أحوال الدنيا، وأقوى سبل هداية الله هو الصلاة بتمامها، قال الغزالي[1]: «والصَّلاةُ مفتاحُ القلوب فيها تنكشف أَسرار الكلمات، فهذا حقُّ القراءة، وهو حقُّ الأذكار والتَّسبيحات أيضاً».

فمثلاً يصل إلى حقيقة الوجود، وهي أن كلَّ ما بين يد النَّاس نافذ وما عند الله باقي فعلينا العمل له، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ النحل: ٩٦، فيبذل كل محصول جهده وطاقته من الدنيا لوجه الله بإرضائه[2]، وعلى ذلك فقس.

ومَن تأمَّل في هذا عَرَفَ سبب مطالبتنا بالخشوع في الصلاة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ركعتان مقتصدتان في تفكُّر، خير من قيام ليلة والقلب ساه»[3]، قال الغزاليّ[4]: «واعلم أنَّ تخليص الصلاة عن الآفات، وإخلاصها لوجه الله عز وجل، وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة.

---

(١) في إحياء علوم الدين١: ١٦٨.

(٢) ينظر: أيها الولد ص٥٧.

(٣) في الزهد والرقائق لابن المبارك ص٩٧، والعظمة لأبي الشيخ ص٣٠١.

(٤) في إحياء علوم الدين١: ١٧٠.

فأولياءُ الله المكاشفون بملكوت السَّموات والأرض وأسرار الرُّبوبية، إنّما يُكاشفون في الصَّلاة لاسيما في السُّجود؛ إذ يتقرَّب العبدُ من ربِّه تعالى بالسُّجود.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ١٩﴾ العلق: ١٩، وإنَّما تكون مكاشفةُ كلِّ مصلٍّ على قدر صفائه عن كدورات الدُّنيا، ويختلف ذلك بالقوَّة والضَّعف والقلّة والكثرة وبالجلاء والخفاء، حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه، وينكشف لبعضِهم الشَّيء بمثالِه، كما كُشِف لبعضهم الدُّنيا في صورة جيفة، والشيطان في صورةِ كلب جاثم عليها يدعو إليها.

ويختلف أيضاً بما فيه المكاشفة فبعضُهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله، ولبعضهم من أفعالِه، ولبعضهم من دقائقِ علوم المعاملة.

ويكون لتعيّن تلك المعاني في كلِّ وقتٍ أَسباب خَفيّةٍ لا تُحصى وأَشدُّها مناسبةً الهِمّة، فإنَّها إذا كانت مصروفةً إلى شيءٍ مُعيَّن كان ذلك أَولى بالانكشاف».

١٠. التّخلص من الصّفات الذّميمة:

إنَّ الصَّلاةَ تهيئ المسلم للنَّجاح في الحياة، فتخلصه من الصَّفات القبيحة التي أساسها الكبر، حتى جعل مبنى الكراهات في الصلاة على

ترك الكبر، قال السرخسي[١] والبرهاني[٢] والكاشغري[٣]: «ويكره للمصلي ما هو من أخلاق الجبابرة»، قال عبد الغني النابلسي[٤]: «أي كل ما كان من أفعال الجبابرة المتكبرين من الناس كرفع الثوب عند السجود؛ لئلا يتترب، ومن ذلك وضع المنديل للسجود عليه؛ لمجرد التكبر من غير عذر، والامتناع من السجود على الأرض بدون حائل»؛ لأنَّ الصلاة مقام التَّواضع والتذلل والخشوع فالتكبر والتجبر ينافيها[٥]، فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﭬ، قال ﷺ: «العزُّ إزاره، والكبرياءُ رداؤه، فمَن ينازعني عذبته»[٦].

ووصف الله المؤمنين بترك الكبر بينهم فقال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المائدة: ٥٤: أي أرِقّاءَ رحماءَ متذللين ومتواضعين لهم، ووصف حالهم مع الكفار بقوله تعالى ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المائدة: ٥٤: أي أشداء متغلبين عليهم من عزَّه إذا غلبَه، كما في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩[٧].

---

(١) في المبسوط١: ٣٤.
(٢) في المحيط البرهاني١: ٣٧٧.
(٣) في منية المصلي ص١٤٩.
(٤) في الجوهر الكلي ق٢٣/ أ.
(٥) ينظر: حلبي صغير ص١٠٢.
(٦) في صحيح مسلم٤: ٢٠٢٤، ومسند أبي حنيفة ر٤.
(٧) ينظر: تفسير أبي السعود٣: ٥١.

والكبر أقبح صفة يصاب به المرء، وهي متأصلة في النفوس إلا التي تربت وتهذبت على تركه، وأعظم الوسائل في ذلك هي الصلاة، فكلها تذلل وتواضع وخشوع يكسر هذه النفس.

وحبُّ الظهور والبروز داء عظيم تصاب به المرأة، تعالجه الصلاة في كل حركاتها وسكناتها، بحيث ترسخ لدى المرأة التستر؛ إذ مبنى أحكام الصلاة على الستر للمرأة، وهذا ما يقرِّره الفقهاء(١) لها، فعن يزيد بن أبي حبيب رضي الله عنه: «إنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ على امرأتين تصليان، فقال: إذا سجدتما فضما بعض اللحم إلى الأرض، فإنّ المرأةَ ليست في ذلك كالرَّجل»(٢)، وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: «إذا سجدت المرأةُ فلتحتفر ولتضمّ فخذيها»(٣)، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّه سئل عن صلاة المرأة: فقال: «تجتمع وتحتفر»(٤)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: قال ﷺ: «إذا سجدت المرأةُ أَلْصَقَت بطنَها بفخذها، كأستر ما يكون لها»(٥).

---

(١) ينظر: المبسوط١: ١٩٨، والبحر الرائق١: ٣٣٩، وغيرها.

(٢) في مراسيل أبي داود ص١١٨، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات. وسنن البيهقي الكبير ٢: ٢٢٣، وغيرها.

(٣) في مصنف ابن أبي شيبة ١: ٢٤١، وهو صحيح كما في صحيح صفة صلاة النبي ﷺ ص١٨٢.

(٤) في مصنف ابن أبي شيبة ١: ٢٤١، وغيره، ورجاله رجال البخاري ومسلم كما في صحيح صفة صلاة النبي ﷺ ص١٨٢.

(٥) في سنن البيهقي الكبير٢: ٢٢٢.

فالصَّلاة أساس في كسب مكارم الأخلاق، حتى قيل: كل المشاكل الأخلاقية والسّلوكية سببها إهمال الصلاة والتفريط فيها: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ مريم: ٥٩[1]، وقيل: كيف يوجد فيهم الضعف ، وتعصف بهم الكثير من المشاكل وعندهم هذه الصلاة ، كيف تضعف أمة عندها هذا الكنز العظيم والسَّلاح المتين[2].

١١ .الطمأنية والترويح عن النفس:

الطمأنينة تكون بذكر الله[3]، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ الرعد: ٢٨، دون غيرِه من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنياويات[4]، فالمعنى: أَلا بِذكر الله تسكن الْقُلُوب، وطمأنينة الْقلب بِزَوَال الشَّك منه واستقرار الْيَقِين فيه، فإِن قال قائل: أَلَيْسَ الله تعالى قال ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ الأنفال: ٢، فكيف توجل وتطمئن فِي حالة واحدة؟ والْجَوَاب: أَن الوجل بِذكر الْوَعيد والْعِقَاب، والطمأنينة بِذكر الْوَعْد وَالثَّوَاب، فَكَأَنَّهَا توجل إِذا ذكر عدل الله وَشدَّة حسابه، وتطمئن إِذا ذكر فضل الله وكَرمه.

---

(١) ينظر: الصلاة سر النجاح ص١٢.
(٢) ينظر: الصلاة سرح النجاح ص٣.
(٣) ينظر: السراج ص٧٢.
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود٥: ٢٠.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الرعد: ٢٨: أي تسكن قُلُوبهم بِذكر الله، وقيل: تستأنس قُلُوبهم بذكر الله، والسكون بِالْيَقِينِ، والِاضْطِرَاب بِالشَّكِّ، قال الله تعالى فِي شَأْن الْمُشْركين: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الزمر: ٤٥: أَي اضْطَرَبَتْ، وَقَالَ فِي المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الرعد: ٢٨[1].

وأيّ ذكر أعظم من الصلاة، المشتملة على عامة الأذكار وقراءة القرآن والخشوع والإخلاص، فالصَّلاةُ في الإسلام واحةٌ روحيةٌ يفيء إليها المسلمُ ليتفيأ ظلالها الوارف، فيجد فيها علاجاً لمشكلاته النفسية، ويتخلى بها عن هموم الحياة وقد كان النبيّ ﷺ يعتبر الصّلاة قرّة للعين[2]، فعن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ من الدُّنْيا النِّساءُ والطِّيبُ، وجعل قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاة»[3].

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني٣: ٩٢.

(٢) ينظر: آثار الخشوع في الصلاة.

(٣) في سنن النسائي الكبرى٨: ١٤٩، وسنن النسائي٧: ٦١، ومسند أحمد١٩: ٣٠٥، والمستدرك٢: ١٧٤، وصححه.

وكان ﷺ يعتبر الصلاة راحة للنفس، قال ﷺ : «يا بِلَالُ أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»[١]: أي روحنا إليها ونعمنا بها من الرُّوح والرَّاحة إليها، ويُقال: أرحنا بالشَّيء: أي روحنا وأرحنا منه: أي أسقطه عنا وخَفِّف عنّا منه، ولم يقل: أرحنا منها، كيف وقُرَّة عينه فيها[٢].

وتعالج الصلاة الفراغ النفسي: فمما لا شّكّ فيه ولا ريب أنَّ الصلاة هي العلاج الجذري والمنهجي لما يشكو منه كثير من المربين والمصلحين مما وقع في صفوف الشباب والفتيات وهو ما يعرف بالعشق أو التعلُّق[٣]؛ لما فيها من كفاية حاجة القلب من المحبّة لله تعالى والتعلّق به، وتحقّق الراحة بذلك، وإيراثِ المخافة والخشية المانعة عن المحرم، فالصلاة تخرج المسلم عن غفلة قلبه، الذي هو الداء العظيم، قال الغَزَالِيُّ[٤]: «الشقاوة علامته: اللسان المطلق بلا كفّ عن المحظورات، والقلب المطبق المملوء بالغفلة».

---

(١) في سنن أبي داود٤: ٢٩٦، ومسند أحمد٢٨: ١٧٨، وشرح مشكل الآثار١٤: ١٦٧، وغيرها.

(٢) ينظر: قوت القلوب ص٨٦.

(٣) ينظر: الصلاة سر النجاح ص٧.

(٤) في أيها الولد ص٤٦.

١٢. تحصيل الصّفات الممدوحة:

فكما أنَّ الصَّلاةَ تُخلص المسلم من الصِّفات الذَّميمة فلا شكّ أنها تكسبه مكارم الأخلاق كالتواضع والصَّبر والإخلاص وغيرها.

ففي الصَّلاةِ أسرارٌ لأجلها كانت عماداً، ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائماً وبالركَّوع وبالسُّجود، وقد كان العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه، وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه، فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم. وبه أمر سائر الخلق[1].

قال الغزالي[2]: «لما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أُمروا به؛ لتنكسر بذلك خيلاؤهم، ويزول كبرهم ويستقرّ التواضع في قلوبهم، وبه أمر سائر الخلق، فإن الركوع والسجود والمثول قائماً هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك مَن عرف نفسه فلينظر كلّ ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له

---

(١) ينظر: موعظة المؤمنين ص٢٥٠.

(٢) في الإحياء٣: ٣٦٠.

خلقاً، فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعاً، وذلك لخفاء العلاقة بين القلوب والجوارح».

وقال ابنُ رجب: «السُّجود أعظم ما يظهر فيه ذُلُّ العبد لربِّه ﷻ، حيث جعل العبد أشرف ما له من الأعضاء وأعزّها عليه وأعلاها حقيقةً أوضع ما يُمكنه فيضعه في التراب معفراً، ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه، ولذا كان جزاء العبد إذا فعل ذلك أن يقربه الله إليه، فإنَّ أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ كما صحَّ ذلك عن النبي ﷺ، وقال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾ العلق: ١٩...

قال: ومَرَّ عصام بن يوسف بحاتم الأصم، وهو يتكلَّم في مجلسه، فقال: يا حاتم تحسن تصلي؟ قال: نعم، قال: كيف تصلي؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية وأدخل بالنيّة، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترسُّل والتَّفكُّر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتَّواضع، وأجلس للتشهُّد بالتَّمام، وأُسلم بالسَّبيل والسُّنّة، وأسلمها إلى الله ﷻ، وأرجع على نفسي بالخوف فأخاف أن لا تقبل منّي، وأحفظه بالجهد إلى الموت. فقال: تكلَّم فأنت تُحسن تُصلِّي.

فالسُّجودُ من أعظم ما يظهر به التواضع والذُّل للمعبود، وهو المقصود الأعظم من الصلاة، فلهذا لا يحل إلا لله ﷻ، فيحرم لأحد من الخلق»[١].

١٣.القدرة على التركيز وتفريغ القلب:

الصَّلاةُ تعوِّدُ صاحبها على التّركيز الكامل في أفعال الصَّلاة أثناء أدائها، وهو ما يُسمّى الخشوع، ومن أعظم أسرار النَّجاح في أيّ عمل هو الإخلاص له والتركيز الكلي فيه، فالمسلم يأخذ كلَّ يوم خمس دروس في ترسيخ هذا السلوك في شخصيته، بحيث يكون جزءاً من حياته وَيُمَكِّنُه من النجاح الكامل في كل أموره.

ومفاتيح التدبر... تركيز القلب: أي منع الهواجيس في الصلاة كلها...[٢]، قال الغزاليُّ[٣]: «ومَن عَرَفَ سِرَّ الصَّلاة عَلِمَ أَنَّ الْغَفْلَةَ تضادها، وحاصل الكلام أنَّ حضور القلب هو روحُ الصَّلاة، وأنَّ أقلّ ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التَّكبير، فالنُّقصان منه هلاكٌ وبقدر الزِّيادة عليه تنبسط الرُّوح في أجزاء الصلاة».

---

(١) ينظر: غذاء الألباب للسفاريني١: ٣٣٢.

(٢) ينظر: الصلاة سر النجاح ص٥٠-٥٢.

(٣) في الإحياء١: ١٦١.

وقال ابن الجوزي: «مَن أحبَّ المخدوم أحبَّ الخدمة له، لو عرف العبد مَن يناجي لم يقبل على غيره، والصَّلاةُ صلةٌ بين العبد وبين ربِّه»(١)، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الله عز وجل مقبلاً على العبد، وهو في صلاته، ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه»(٢)، وعدم الالتفات محقِّق للخشوع، والخشوع يحقِّق التركيز وتفريغ القلب.

فالصلاة للقلب مثل الماء للبدن يحتاجها على مدار الساعة ومتى توقفت عنه، فإنَّه يعطش وقد يشتدُّ عطشه فيصاب بالجفاف والقسوة، وربما صَعُبَت عليه الصلاة إلا بجهد كبير، فإن الصلاة تعين على الصلاة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ البقرة: ٤٥(٣).

١٤. تنظيم الوقت والحياة:

الصلاة تنظم الأوقات للمسلم وتعرِّفه أنَّ كلَّ وقت له عمل، وهذا سبيل النَّاجحين في حياتهم، فمَن كان أقدر على تنظيم وقته وترتيب حياته وجعل لكلِّ وقت عملاً كان أنجح في حياته، قال الخادمي(٤): «العمر جوهر لا يعادله قيمة، بل كل نفس من أنفاسه لا يناله الإنسان

---

(١) ينظر: مواعظ ابن الجوزي ص١٣٣.
(٢) في سنن أبي داود١: ٢٣٩، وسنن الترمذي٥: ١٤٨، وسنن النسائي الكبرى١: ٢٨٦، وصحيح ابن خزيمة١: ٢٤٣، وغيرها.
(٣) ينظر: الصلاة سرح النجاح ص٤٦.
(٤) في السراج ص٦٣.

بخزائن الملوك... ولكل نفس وظيفة فهو رأس مال المؤمن لاكتساب سعادة الآخرة».

والصلاة تخرج المسلم من كسل النَّفس وتحفزها على النَّشاط والهِمة، فعليه أن يستيقظ من الفجر ويترك رغبة النفس بالنوم، ومطالب في كل وقت أن يتوضأ ويُصلِّي ويطرد وساوس نفسه وزخرفها، وهكذا، قال الغزاليّ[1]: «لا تكثروا النوم بالليل، فإن كثرة النَّوم بالليل يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة».

وقال أبو غدة[2]: «الصَّلاة تتكرَّر من المسلم والمسلمة في اليوم واللَّيلة خمس مَرَّات، فإذا أدَّاها المسلمُ في أول وقتها كما طُلبَت منه، غَرَسَت في سلوكه خلُق الحفاظ على الوقت، والدقّة في المواعيد، والانتباه لتوقيت كلّ عملٍ بوقته المناسب له، الموصل إلى الغاية منه على الوجه الأتمّ الأكمل.

ومن هذا تبدو لنا الحكمة البالغة: لماذا خصَّ الله ﷻ ثم النبي ﷺ الصلاة بالذكر من بين سائر التكاليف الكثيرة المؤقتة؛ لأنها تتكرَّر كلَّ يوم خمس مرات، ففي زمن يسير ينطبع سلوك فاعلها بخُلق ضبط

---

(١) في أيها الولد ص٣٨.

(٢) ينظر: قيمة الزمن عند العلماء ص١٠-١١.

الوقت، ودقّة الوَعد، وأداء كلّ عمل في ميقاته المخصَّص له علىٰ الوجه الأمثل، ويصير ذلك له عادةً وطبيعةً متبعةً في سلوكه وحياته.

فيجب علىٰ المسلم أن ينتبَه إلىٰ الوقت في حياته، وإلىٰ تنفيذ كلّ عمل من أعماله في توقيته المناسب، فالوقتُ من حيث هو معيارٌ زمني: من أغلىٰ ما وَهَبَ الله تعالىٰ للإنسان، وهو في حياة العالِم وطالبِ العلم رأس المال والربح جميعاً، فلا يسوغ للعاقل أن يضيِّعه سدىً، ويعيش فيه هَمَلاً سَبَهْلَلاً...)).

١٥ .التّربية على الصّبر:

الصلاة وسيلة فعَّالة في تحقيق الصبر، والصبر يمنع من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوّةٌ من قوىٰ النَّفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها. وقال ابن جبير: «الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه». وقال الجنيد : وقد سئل عن الصبر: «هو تجرع المرارة من غير تعبس»[1].

قيل لخلف بن أيوب: ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها قال: لا أعود نفسي شيئاً يفسد علىٰ صلاتي، قيل له: وكيف تصبر علىٰ ذلك؟

(١) ينظر: غذاء الألباب٢: ٥٢٣.

قال: بلغني أنَّ الفُسَّاق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال: فلانٌ صبورٌ ويفتخرون بذلك، فأنا قائمٌ بين يدي ربّي أفأتحرك لذبابة[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ المعارج: ١٩ - ٢٣، فهذه الآيات تؤكِّد أن المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ليسوا من هذا النوع من الناس، بل هم على العكس من ذلك فهم إذا مسهم الشر صبورين، وإذا مسهم الخير شكورين، فمن مقاصد الصلاة المهمّة التي يجب أن تكون حاضرةً في قلب العبد أن مَن يُصلي فإنَّه يحصل على القوّة والثبات في هذه الحياة، ويسلم من نكدها وكدرها، فهو يعيشُ في واحة الإيمان وجنة الرضا في كل أحواله[2].

ويتحقق أثرها في الصبر على الشدائد فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقيام الليل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ المزمل: ١ - ٢، ثم اتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ المزمل: ٥، مما يدلُّ على مكانة الصلاة في الإعانة على تحمل الشدائد ومواجهة الصعاب ولقد كان رسول الله ﷺ يواجه عنتاً وشدّةً من الكفّار، ولقد كان في أمره بقيام الليل وما يتزود به

---

(١) ينظر: الإحياء١: ١٥١.

(٢) ينظر: الصلاة سر النجاح ص٢١.

في مناجاة الله تعالىٰ من زادٍ روحيٍّ كبيرٍ أكبر العون علىٰ مواجهة متاعب الحياة وقسوة المخالفين(١).

والصَّلاةُ علاجٌ ناجع للغضب والتهوّر؛ تُعلّم الإنسان كيف يكون هادئًا، وخاضعًا لله ﷻ(٢).

١٦.تصلح دين المسلم وحياته:

كلّما صدق الإنسان مع الله تعالىٰ في صلاته كان ذلك سبباً في إصلاح باقي عباداته، ومحفزاً عليها من صدقة وصيام وعمرة وحجّ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «إنَّ أوّل ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»(٣).

قال الحسن البصري: «يا ابن آدم أي شيء يعجز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك»(٤).

---

(١) ينظر: آثار الخشوع في الصلاة http://www.alimam.ws/ref /٦٧٧.

(٢) ينظر: أثر الصلاة في العلاج النفسي /http://www.alukah.net/culture/١٠٨٠ /٥٥٥٧٣ .

(٣) في سنن الترمذي٢: ٢٦٩، وحسنه، وسنن أبي داود١: ٢٩٠.

(٤) في شعب الإيمان٣: ١٥٣.

والصلاة تحفظ حياة المسلم صحيحة كريمة، قال المروزي[١]: «فمَن حافظ على الصلاة حافظت عليه الصلاة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥»؛ لما فيها من «التربية: وهي مجاهدة النفس وقطع شهوة النفس»[٢]؛ إذ إن مجاهدة مستمرة لهذه النفس، وقطع لشهواتها من الكسل والنوم والغفلة وغيرها.

وتصلح الحياة بالخروج من الظلمات إلى النور، بالنظرة السلمية لحقيقة الدنيا، فيتحقق بصلاته «التقوى التي فيها عزّة المرء وكرامته لا في كثرة الأقوال والأنصار والعشائر والأموال والأولاد وإتلاف الأموال والإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ الحجرات: ١٣»[٣]، فكلُّ التعلقات للعزة بغير الله ظلمات من المال والبنين وغيرها.

١٧ . إخلاص العبودية لله:

الإخلاص: هو أن يكون أعمال لله تعالى لا يرتاح قلبك بمحامد الناس ولا يتأسى بمذامهم[٤].

والعبودية: محافظةُ أمر الشرع، والرضاء بالقضاء، ومخالفة النفس[٥].

---

(١) في تعظيم قدر الصلاة ص٩.

(٢) ينظر: أيها الولد ص٤٥.

(٣) ينظر: ينظر: أيها الولد ص٥٨.

(٤) ينظر: السراج ص٨١.

(٥) ينظر: أيها الولد ص٨٠.

وإخلاص العبودية لله وحده، هذا هو أساس مقاصد الصلاة وقاعدتها ومنه تتفرع بقية المقاصد[1].

وخشوع الصلاة هو كمال الإخلاص؛ لأنَّه «جعل القلب لله تعالىٰ وعدم الانشغال بغيره ونسيانه»[2]، فعن عثمان بن أبي دهرش قال ﷺ: «لا يقبل الله من عبدٍ عملاً حتىٰ يشهد بقلبه مع بدنه»[3].

ونجاح المرء في حياته مبني علىٰ شدّة إخلاصه في كل أمر يقوم به، فيتحقق تفوقه الوظيفي والمعيشي والاجتماعي والدراسي، والصلاة عامل رئيس في تحقيق الإخلاص في حياة المسلم.

١٨. الزُّهد بالدنيا:

حقيقة الدُّنيا حبُّ البقاء لطاعة الهوىٰ وموافقة الهوىٰ في حبّ العرض لأجل البقاء، فدخل أحد هذين في الآخر؛ لأنّ حُبّ البقاء

---

(١) ينظر: الصلاة سر النجاح ص١٦.

(٢) ينظر: السراج ص٢٧.

(٣) فعن أبي بن كعب رضي الله عنه وعن رجل من آل الحكم بن أبي العاص: ((أنَّ النبي ﷺ صلىٰ بالناس، فقرأ سورة فأغفل منها آية فسألهم هل تركت شيئاً؟ فسكتوا فقال: ما بال أقوام يقرأ عليهم كتاب الله لا يدرون ما قرئ عليهم فيه، ولا ما ترك، هكذا كانت بنو إسرائيل، خرجت خشية الله من قلوبهم، فغابت قلوبهم، وشهدت أبدانهم ألا وإن الله عز وجل لا يقبل من أحد عملا حتىٰ يشهد بقلبه ما شهد ببدنه)) في تعظيم قدر الصلاة ص١٩٩، والفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ٤ :١١٤، وجامع الأصول لابن الأثير ٥: ٦٤٨، وجامع الأحاديث للسيوطي ٣٢: ٣٠٤، وينظر: كنز العمال ٨: ٢٩٥.

لأجل المتعة، هو من الهوىٰ الذي هو صفةُ النَّفس الأمّارة بالسوء وطاعة الهوىٰ الذي هو عيش النَّفس إنما يكون لحبّ البقاء؛ لأنَّ العبد لو أيقن بالموت ساعته لآثر الحقّ علىٰ الهوىٰ، ولو أيس من البقاء لما رغب في العرض الأدنىٰ، فصار حبّ البقاء من الهوىٰ، وصار إيثار الهوىٰ إنَّما هو لحبّ البقاء، فكان ذلك حقيقة الدنيا.

وكان أقصرُ النَّاس أملاً للبقاء أزهدُهم في الدُّنيا حتىٰ لا يدّخر شيئاً لغد؛ لأنّه عنده غير باق إلىٰ غدٍ وصار أرغب النَّاس في الدُّنيا أطولُهم أملاً؛ لأنّ رغبتَه اشتدَّت فيها، وحرصَه كثر عليها للامتداد أمله للحياة فيها؛ إذ لو قصر أمله لغدٍ لاختار الفقر حينئذٍ، واختيار الفقر هو الزهد»[1].

والإقبال علىٰ الصَّلاة يبصر المسلم بحقيقة الدنيا، فيكون فيها من الزّاهدين؛ لأنَّ «الانشغال بالعبادة للثقة بضمان الله للرزق بحيث يقل سعيه ومبالغته للمعاش الذي يوقعه في الشبهات والمحرمات وإلىٰ ارتكابها طمعاً في تكثير الأموال فلا يرعي أسباب الحل»[2].

---

(١) ينظر: قوت القلوب ١: ٤١٢.

(٢) ينظر: ينظر: أيها الولد والسراج ص٦١.

فلا يميل إلى جذب الدنيا، ولا يضيع عمره الذي لم يعط له شيء أعز منه في حطامها كالذي يحصل العلم بمباهاتها وإعراضها[1]، وتصبح نظرته للحياة: عش ما شئت فإنَّك ميت، وأحبب ما شئت فإنَّك مفارق، واعمل ما شئت فإنَّك مجزى به[2]، فلا يرى عملاً أحبَّ على قلبه من الإقبال عليه بالطاعة والعبادة بالصلاة في ليله ونهاره، حتى يجزى الجزاء الأوفى.

ويدرك بصلاته أنَّ «حبّ الدنيا رأسُ جميع المحظورات؛ لأنَّها متولدٌ ومنته إليهن، فمَن أراد سلامته عن جميع المحظورات الدينية يعرض عنه؛ لأنَّ عزَّها ذلٌ وذلَها عزٌّ، ومنحَها محنٌ ومنحَها منحٌ، وهي دارُ مشقّة، وفراق ودار بلاء وفناء وعبور لا دار بقاء ودوام وسرور»[3]؛ لأنه لا يكمل شغل العبد بالله الكريم، وله في الدنيا حاجة[4].

وطالما الصلاة تعلمه وتخبره أنَّ العيش إنَّما هو عيش الآخرة، فيكون سعيه للعمل للآخرة بقدر بقاءه فيها، والبقاء غير متناه، فالعمل لها يقتضي استغراق العمر بالطاعة والتقوى والعفة والاستكانة بالخوف والخشية ظاهراً وباطناً بأداء الفرائض والواجبات وبمواظبة السنن

(١) ينظر: سراج الظلمات ص٢٦.
(٢) ينظر: أيها الولد ص٢٦.
(٣) السراج ص٦٧.
(٤) ينظر: السراج ص٧٢.

والمستحبات وبسترك المحرمات والمنكرات وباجتناب البدع والشبهات، فإن العاقل يختار ما يبقى على ما يفنى بل يجتهد أن يزيد طاعة كل يوم على ما قبله على ما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنه: من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له[1].

وآثار الصلاة جميع خيرات الدنيا والآخرة ودفع جميع مضارهما وإلا لما كانت عماد الدين، والأساس القويم، وإنَّما أردنا في بحثنا الإشارة إلى بعضها والتنبيه على خيرها، وإلا فمقاصدها عظيمة كثيرة كالوقاية من الأمراض النفسية، والشجاعة والإقدام، والنشاط والحماس وقوة الإرادة، والحلم والأناة والرفق، وسعة الرزق، وقوة الإرادة، وحسن الخلق، وتوفير المال والنجاح في إدارته، والنوم المريح وتخفيض عدد ساعاته، والنصر في جميع الميادين، والنجاح في الدراسة والعمل، والسّعادة وشرح الصّدر، وزيادة قوة الذّاكرة، وقوّة البدن وصحته[2].

* * *

(١) ينظر: السراج ص٥٢.

(٢) ينظر: الصلاة سر النجاح٢٥.

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

أولاً: الله تعالى خلق الإنسان في عناءٍ وابتلاء، وجعل له سلاحاً وهو الصبر والصلاة.

ثانياً: الإنسان بطبعه ضعيف عاجز عن مخالفة هواه، ويشعر دائماً أنّه بحاجةٍ أن يلجأ إلى قويٍّ.

ثالثاً: الدينُ يصحِّح نظرة الإنسان للحياة، ويبين له أنَّ الطريق لحلّ مصائب الدُّنيا.

رابعاً: سعادة المسلم في الدّنيا وحياته الطَّيبة تكون بالرِّضا والقناعة التي تتحصَّل بمعرفة الله.

خامساً: مخالفة النَّفس رأس العبادة، فلا ينبغي للمسلم أن يدخر جهداً في تربية نفسه.

سادساً: الصَّلاة رأسُ العبادات، وهي عمادُ الدِّين وأساسُه القويم، ومن أقامها فقد أقام الدين.

سابعاً: الصَّلاة هي دوراتٌ قصيرةٌ علىٰ مدارِ السَّاعة يأخذ بها غذاء روحه للسَّاعات القادمة.

ثامناً: الصلاة هي رأسُ المناجاة والذِّكر وحسن الفهم للدنيا؛ لما تشتمل عليه من تربية ومعاني.

تاسعاً: من يؤدِّي الصَّلاة بحقِّها ويُجاهد نفسَه في الخشوع فيها تؤثر عليه بصورة كبيرة في حياته، ومن هذه الآثار:

١. نجاح المسلم في حياته الدنيوية والأخروية.

٢. الاستقامة بترك الفواحش والمنكرات.

٣. زرع القوة الموجهة للذَّات في النَّفس التي تقودها إلىٰ المكرمات.

٤. بيانِ غايةِ الإنسانِ من الحياةِ، وهو رضاءُ الله والعيشُ له وحده.

٥. تحقيق التَّوكل التّام علىٰ الله تعالىٰ والثقة به والاعتماد عليه.

٦. تعين المسلم علىٰ نفسه وعلىٰ شيطانه.

٧. تعين المسلم علىٰ التفكُّر والتَّدبُّر في ملكوتِ السَّموات والأرض.

٨. معالجة داء حب الظهور والبروز لدىٰ المرأة بالتستر فيها.

٩. راحة للنَّفس وقرّة للعين، وهي العلاج الجذري والمنهجي لما يعرف بالعشق أو التعلُّق.

١٠. زيادة قدرة المسلم علىٰ التركيز وتفريغ القلب.

١١. تنظيم الأوقات للمسلم وتعرِّفه أنَّ كلَّ وقت له عمل.

١٢. وسيلة فعَّالة في تحقيق الصبر.

١٣. علاجٌ ناجع للغضب والتهوّر.

١٤. تصلح دين المسلم وحياته.

١٥. تربي على الإخلاص.

١٦. تبصر المسلم بحقيقة الدنيا، فيكون فيها من الزاهدين.

* * *

المراجع:

١. آثار الخشوع في الصلاة، .http://www.alimam.

٢. أثر الصلاة في العلاج النفسي لرحيل بهيج، www.alukah.net

٣. إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٤. آداب النفوس: للحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت: ٢٤٣هـ)، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الجيل - بيروت -لبنان.

٥. اعتلال القلوب: لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (ت: ٣٢٧هـ)، ت: حمدي الدمرداش، الناشر: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة-الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٦. أيها الولد: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت: علي محب الدين علي القرة داغي، دار البشائر الإسلامية بيروت، ط٤، ١٤٣١هـ.

٧. البحر الرائق شرح كَنْز الدقائق: لإبراهيم ابن نجيم المصري زين الدين (ت٩٧٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ طبع.

٨. تاريخ دمشق: لعلي بن الحسن أبي محمد بن هبة الله، المعروف بـ(ابن عساكر)(٤٩٩-٥٧١هـ)، دار الفكر، دمشق.

٩. تسلية أهل المصائب: لمحمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (ت: ٧٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٠. تعظيم قدر الصلاة: لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، ت: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١. تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢. تفسير الراغب الأصفهاني: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، ت: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٣. تفسير الطبري: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٤. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت:

٣٢٧هـ)، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.

١٥. تفسير القرآن: لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٧. تفسير النسفي: لأبي البركات عبد الله بن أحمد النَّسَفِي حافظ الدين (ت٧٠١هـ)، بدون دار نشر وتاريخ نشر.

١٨. تلبيس إبليس: للحافظ ابن الجوزي، المنيرية.

١٩. جامع العلوم والحكم: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٢١. الجوهر الكلي شرح عمدة المصلي: لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي (ت١١٤٣هـ)، من مصورات مخطوطات مكتبتي عن دار صدام.

٢٢. حلبي صغير: لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحَلَبي (ت٩٥٦هـ)، مطبوع في اسطنبول، ١٣٠٣هـ.

٢٣. الخشوع في الصلاة: لمحمَّد بن لطفي، بن عبد اللطيف، بن عمر الصبَّاغ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - مصر، دار الوراق للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٢٤. الخشوع في الصلاة: لسعيد بن علي القحطاني، www.alukah.net

٢٥. الذريعة إلى مكارم الشريعة: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ت: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

٢٦. رسائل الإمام الغزالي: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، محققة مصححة بإشراف مكتب الدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

٢٧. الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، ت: عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٢٨. الزهد: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، ت: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

٢٩. الزهد: لأحمد بن أبي العاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٣٠. الزهد: لعبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الله الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١. سراج الظلمات شرح أيها الولد: لأبي سعيد الخادمي، طبعة محمود بك مبطعة سي، ١٣٢٤، استانبول.

٣٢. سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٧-٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٣٣. سنن أبي داود: لسليمان بن أشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٣٤. سنن البَيْهَقِي الكبير: لأحمد بن الحسين بن علي البَيْهَقِي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٣٥. سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦. سنن النَّسَائيّ الكبرى: لأحمد بن شعيب النَّسَائِي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الغفار البنداوي وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٧. الشريعة: لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، ت: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٨. شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٩. صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حِبَّان التميمي (٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٤٠. صحيح ابن خزيمة: لمحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.

٤١. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البُخَارِيّ (١٩٤-٢٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤٢. صحيح صفة صيام النبي ﷺ: لحسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، ط١، ٢٠٠٣هـ.

٤٣. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤. الصلاة سر النجاح: للدكتور خالد بن عبد الكريم اللاحم، http://saaid.net.

٤٥. العظمة: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (ت: ٣٦٩هـ)، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٦. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: لمحمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة قرطبة.

٤٧. فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب: لمحمد نصر الدين محمد عويضة.

٤٨. فضائل الصحابة: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، ت: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٥٠. القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط: لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٥١. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت: ٣٨٦هـ)، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

٥٢. قيمة الزمن عند العلماء: لعبد الفتاح أبو غدة (ت١٤١٧هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١٠، ٢٠٠٢م.

٥٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لمحمود بن عمر الزمخشري الحنفي (٤٦٧-٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٤. كيف تخشعين في الصلاة، لرقية بنت محمد المحارب، ١٤٣٠هـ.

٥٥. لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم الإفريقي المصري المشهور بـ(ابن منظور)(ت٧١١هـ)، تحقيق: عبّد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف.

٥٦. المبسوط: لأبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي توفى بحدود (٥٠٠هـ)، ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت.

٥٧. محاسبة النفس: لأبي بكر عبد الله القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، ت: المسعتصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٥٨. المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة: لأبي المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (ت: ٦١٦هـ)، ت: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٥٩. مراسيل أبي داود: لسليمان بن أشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٠. المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٦١. مسند أبي حنيفة: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٦-٤٣٠هـ)، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٢. مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود (ت٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦٣. مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.

٦٤. مسند البَزَّار (البحر الزخار): لأبي بكر أحمد بن عمرو البَزَّار (٢١٥-٢٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٥. مسند الشهاب: لأبي عبد الله محمد بن سلامة القُضَاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٦٦. مشكل الآثار: لأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، مجلس دائرة النظامية، الهند، حيدر آباد، ط١، ١٣٣٣هـ.

٦٧. المصنف في الأحاديث والآثار: لعبد الله بن محمد بن أبي شَيْبَةَ (١٥٩-٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٦٨. المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبَرَاني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٦٩. مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل (مختصر رعاية المحاسبي): لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، ت: إياد خالد الطباع، دار الفكر - دمشق، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٧٠. منية المصلي وغنية المبتدي: لسديد الدين محمد بن محمد الكاشغري (ت٧٠٥هـ)، مطبعة محمدي، بمبئ، ١٣١٣هـ.

٧١. مواعظ ابن الجوزي: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

٧٢. الموطأ: لمالك بن أنس الأصبحي (٩٣-١٧٩هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

٧٣. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، ت: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٧٤. ميزان العمل: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، ت: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٤ هـ.

* * *

فهرس الموضوعات: